جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

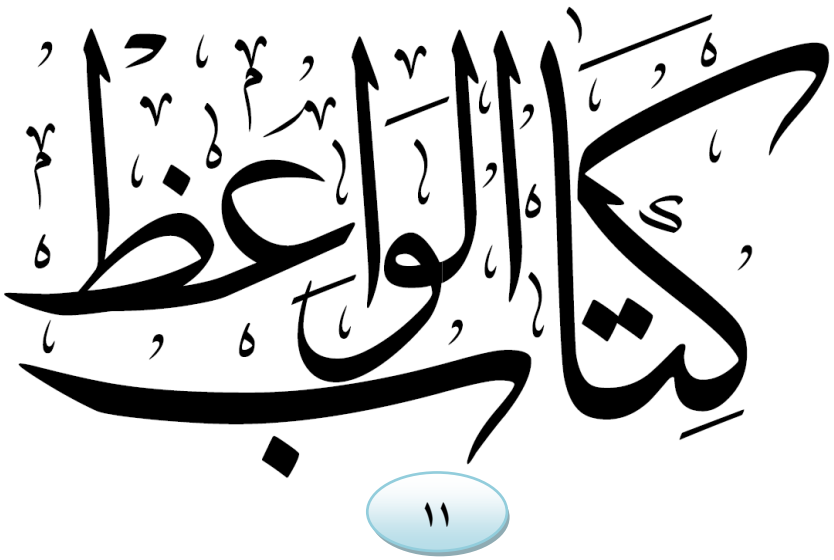

١١

ذو القعدة

إشراف

إعداد
اللجنة العلمية

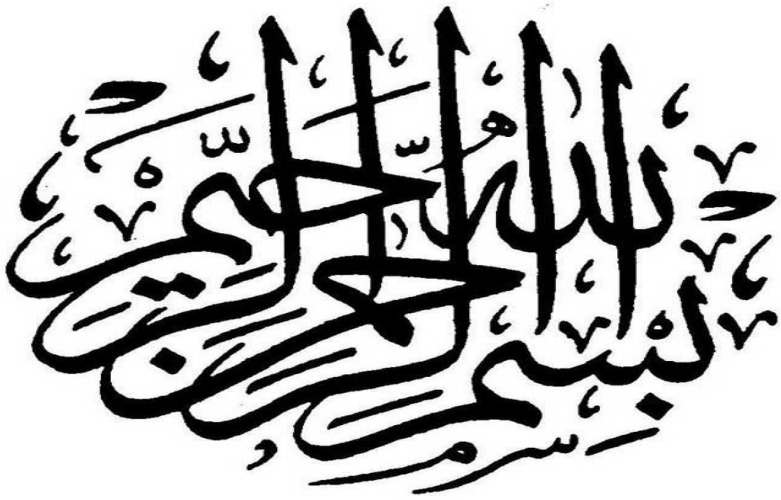
بسم الله الرحمن الرحيم

أمــة الجحـــور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد،

في الأمة الإسلامية أمة الإسلام مرقت منها أمة أبت أن لا تعيش إلا في الجحور، ويا ليتها اختارت جحرًا يحميها من الآفات، ولكن للأسف اختارت أضيق الجحور وأخبثها وأكثرها هلكة.

هذه الأمة أخبرنا عنها رسول الله ﷺ في حديثه المعجز فقال كما في الصحيحين: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ)) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: ((فَمَنْ))**

قال الإمام النووي رحمه الله: السَّنَن، بفتح السين والنون: وهو الطريق، والمراد بالشبر، والذراع، وجحر الضب: التمثيل بشدّة الموافقة في المعاصي والمخالفات، لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ

إي والله وقع وعمت به البلوى فترك أكثر الخلق طريق الهداية واتبعوا سبل الغواية وخالفوا سبيل المهتدين المرضيين واستبدلوه بسبيل المغضوب عليهم والضالين، ويا ليتهم تفكروا في السبيل الذي ولجوه ولكنهم اتبعوهم على عماء وقلدوهم كما تفعل الببغاء، ويا ليتهم قلدوهم في نفع دنيوي أو اختراع حيوي ولكنهم أبوا إلا محاكاتهم في البلايا بل ومنافستهم في الخطايا والإمعان في الرزايا،

وهذا الحديث يكشف لنا مدى الاتباع لهم والافتتان بأفعالهم فذكر النبي ﷺ حرص هذه الأمة على الموافقة لهم والسير وراءهم شبرا بشبر وذراعا بذراع إلى أن يصلوا إلى الدخول في مكان قذر وبيت خرب لدخلنا خلفهم وتباهينا بمتابعتهم،

والرائع في هذا الحديث النبوي أنه ضرب المثل بجحر الضب، والضب معلوم عنه شدة الحيرة والاضطراب، وفي أمثال العرب يقولون على من تحير: أضل من ضب وهكذا حال السائرين خلفهم تحيروا فلم يعرفوا مسكنهم الحقيقي الذي ينبغي لهم أن يسعوا إليه فضلوا الطريق وتاهوا في كل مزلق وضيق

إن من أنعم النظر اليوم ورأى حال المسلمين ليرى رأي العين أن غالب المسلمين اليوم يسيرون على هدي الساقطين واستُبدل هدي المجرمين بهدي النبي الأمين ﷺ،

قال الإمام الآجري في كتابه الشريعة تحت باب: ذكر خوف النبي ﷺعلى أمته وتحذيره إياهم سنن من قبلهم من الأمم: من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل، علم أن أكثرهم العام منهم يجري أمورهم على سنن أهل الكتابين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى سنن كسرى وقيصر وعلى سنن أهل الجاهلية وذلك مثل السلطنة وأحكامهم وأحكام العمال والأمراء وغيرهم، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية، والأكل والشرب والولائم، والمراكب والخدم والمجالس والمجالسة، والبيع والشراء، والمكاسب من جهات كثيرة، وأشباه لما ذكرت يطول شرحها تجري بينهم على خلاف السنة والكتاب، وإنما تجري بينهم على سنن من قبلنا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، والله المستعان، ما أقل من

يتخلص من البلاء الذي قد عم الناس، ولن يميز هذا إلا عاقل عالم قد أدبه العلم، والله الموفق لكل رشاد، والمعين عليه. انتهى

ولك أن تنظر اليوم في عادات المسلمين ومعاملاتهم وزيهم وسمتهم لرأيت العجب العجاب، إن تفننوا في زي جديد استعملناه وإن قصوا حبل الوريد قطعناه أو مزقوا بنطالهم مزقناه أو جعلوا رؤسهم كرؤس الشياطين فأهلا بأصحاب الشياطين مع أن القزع ظلم للشعر ومدعاة للسخرية عند المؤمنين

وإن المشابهة في الهدي الظاهر تورث المشابهة في الباطن من حيث لا يشعر العبد كما أن المفارقة بيننا وبينهم في الظاهر توجب المفارقة في الباطن، وكلما كان القلبُ أتمَّ حياةً، وأعرفَ بالإسلام الذي هو الإسلام كان إحساسُه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا أو ظاهرًا أتمَّ، وبُعدُه عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد: ومن تشبه بقوم فهو منهم، والمرء يحشر مع من أحب

ولهذا وقعت المتابعة لهم في العقائد والملل من حيث لا يشعر الإنسان، فإن افتراق الأمة إلى فرق متقاتلة ما هو إلا نوع من مشابهتهم فيما وقعوا فيه، وبعض المفرطين في دينهم قد شابه اليهود والنصارى في صفة عباداتهم فمن ذلك أن اليهود والنصارى يعبدون الله يوما واحدا في صوامعهم هؤلاء يوم السبت والآخرون يوم الأحد وكذلك نرى في المسلمين من لا يعرف طريق المسجد إلا يوم الجمعة وهذه صورة من صور المشابهة

إن قضية التقليد لهم والمتابعة لكل مستجد عندهم إن دل فإنما يدل على أن هؤلاء لم يعرفوا أسوتهم ولم يحبوا قدوتهم لذا قلبوا النظر في غيره فاتبعوا سننهم وساروا في ركابهم.

والقرآن الكريم يدلنا دلالة قاطعة على طريق الهداية فيقول لنا: {**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** } (الأحزاب: **٢١**)

فاللهم رد المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً والحمد لله أولًا وآخرًا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

كتبه

أحمد بن سليمان

التحذير من مكائد الشيطان للإنسان

عناصر الخطبة

قدم عداوة الشيطان للإنسان **طرق الشيطان في إغواء الإنسان**
وسائل التحصين من الشيطان **تبرؤ الشيطان من أتباعه يوم القيامة.**

عداوة الشيطان للإنسان:

إن عداوة الشيطان للإنسان قديمة قال الله تعالي: ((أَلم عْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ)) [يس: ٦٠ - ٦٢].

قال السعدى رحمه الله: ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ)) أي: آمركم وأوصيكم، على ألسنة رسلي، وأقول لكم ((يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)) أي: لا تطيعوه؟ ((إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)) فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه، وأمرتكم ((أَنِ اعْبُدُونِي)) بامتثال أوامري وترك زواجري، ((هَذَا)) أي: عبادتي وطاعتي، ومعصية الشيطان ((صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)) ((أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا)) أي: خلقا كثيرا، ((أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ)) أي: فلا كان لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم ووليكم الحق، ويزجركم عن اتخاذ أعدى الأعداء لكم وليا[1].

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى عَدَاوَةَ إِبْلِيسَ لِابْنِ آدَمَ فَقَالَ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)) أَيْ: هُوَ مُبَارِزٌ لَكُمْ بِالْعَدَاوَةِ، فَعَادُوهُ أَنْتُمْ أَشَدَّ الْعَدَاوَةِ، وَخَالِفُوهُ وَكَذِّبُوهُ فِيمَا

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٩٨).

يَغُرُّكُمْ بِهِ، ((إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) أَيْ: إِنَّمَا يَقْصِدُ أَنْ يُضِلَّكُمْ حَتَّى تَدْخُلُوا مَعَهُ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ، فَهَذَا هُوَ الْعَدُوُّ الْمُبِينُ[١].

وهذه العداوة نشأت منذ أن خلق الله آدم عليه السلام قال الله: ((قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)). [ص: ٧١ -٨٢].

وتتمثل هذه العداوة في جعل الله مع كل إنسان قرينا وهذا من باب الامتحان والاختبار، عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ)). قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَإِيَّايَ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ))[٢].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا))[٣].

والشيطان ذئب الإنسان وقعد لابن آدم بأطرقه كلها قال تعالى: ((لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)) [الأعراف: ١٦، ١٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٣٤)

(٢) أخرجه مسلم(٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٣٨).

قال السعدي رحمه الله: أي: قال إبليس لما أبلس وأيس من رحمة الله: ((فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ)) أي: للخلق ((صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)) أي: لألزمن الصراط ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه، ((ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ)) أي: من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم(١).

وعَنْ سَبْرَةَ بْنِ فَاكِهٍ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ))، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ))(٢).

طرق الشيطان في إغواء الإنسان، وهي كثيرة منها:

١- **إظهار النصح**: قال الله تعالى: ((وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)) [الأعراف: ٢١]. أي: حلف لهما أنه ناصح لهما وليس بغاش لهما(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٤)

(٢) أخرجه النسائي (٣١٣٤)، أحمد (١٥٩٥٨) قال الألباني في صحيح سنن النسائي (٣١٣٤): صحيح.

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ١٥٩)

وذلك يكون بدعوة الناس إلى الكفر، فإن أنجى الله العبد من الكفر دعاه إلى البدعة، فإن نجا من البدعة ولزم طريق السنة أوقعه في الكبائر، فإن نجا من الكبيرة أوقعه في الصغيرة، فإن نجا من الصغيرة شغله بالمباح الذي لا ثواب فيه ولا عقاب عن الأهم، فإن نجا من هذه شغله بالمفضول عن الفاضل، وإن كان المفضول خيرا.

٢- **تزيين الباطل**: قال الله: ((قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)) [الحجر: **٣٩**]، وقال تعالى: ((وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأنعام: **٤٣**]، وزين لقوم نوح عبادة الاصنام ولغيرهم من البشر قال لله: ((وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا **(٢٣)** وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا)) [نوح: **٢٣، ٢٤**]

٣- **التلبيس:** قال الله: ((إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ)) [محمد: **٢٥**].

قال أبوبكر الجزائري: سول لهم أي زين له ذلك الارتداد، وأملى لهم أي وأعدهم ممنيا لهم بطول العمر والبقاء الطويل في الحياة، والعيش الطيب الواسع فيها(١).

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: ((إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ)). قَالَ الأَعْمَشُ ﷺ: أُرَاهُ قَالَ: ((فَيَلْتَزِمُهُ))(٢).

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٨٦)

(٢) أخرجه مسلم(٧٢٠٨)

٤- **التسويف**: يستخدم معه طول الأمل حتى يصرفه عن التوبة، قال تعالى: ((وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)) [الأعراف: ٢٠].

٥- **تهوين المعصية**: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣].

يأمر تبارك وتعالى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إن لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، وَأَخْرَجَ الْكَلاَمَ إِلَى الْفِعَالِ، وَوَقَعَ الشَّرُّ وَالْمُخَاصَمَةُ وَالْمُقَاتَلَةُ، فإنه عَدُوٌّ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ مِنْ حِينِ امْتَنَعَ مِنَ السجود لآدم، وعدواته ظَاهِرَةٌ بَيِّنَةٌ، وَلِهَذَا نَهَى أَنْ يُشِيرَ الرَّجُلُ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ في يده فربما أصابه بها[١]، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ))[٢].

٦- **الأماني والغرور**: سلاح الشيطاني المضَّاء: قال الله جل جلاله: ((يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا)) [النساء: ١٢٠]. وقال ربنا سبحانه: ((وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُمْ)) [إبراهيم: ٢٢].

يعدهم هذا الغرَّار بحسب طبائعهم، يجرهم إلى حبائله بحسب ميولهم ومشتهياتهم، يخوِّف الأغنياء بالفقر إذا هم تصدقوا وأحسنوا. كما يزين لهم الغنى وألوان الثراء بالأسباب المحرمة.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٣)

(٢) البخاري (٧٠٧٢)، مسلم (٢٦١٧/١٢٦)

٧- **الخروج عن الوسط ومجاوزة حد الاعتدال**: خطو إبليسي، ومسلك شيطاني. يقول بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط أو تقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي إبليس بأيهما ظفر.

وإن حبائل الشيطان بين هذين الواديين تحبك وتحاك، غلا قومٌ في الأنبياء وأتباعهم حتى عبدوهم، وقصَّر آخرون حتى قتلوهم، وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، وطوائف غلوا في الشيوخ وأهل الصلاح، وآخرون جفوهم وأعرضوا عنهم.

وسائل التحصين من الشيطان:

١- **توحيد الله تعالى، والتوكل عليه، والإخلاص:** قال الله تعالى: ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)) [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

فالشيطان {لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ} أي: تسلط {عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ} وحده لا شريك له {يَتَوَكَّلُونَ} فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان ولا يبق له عليهم سبيل، {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ} أي: تسلطه {عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} أي: يجعلونه لهم وليا[1].

٢- **التعوذ بالله من شره:** قال الله: ((وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)) [الأعراف: ٢٠٠، ٢٠١].

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٤٩)

عَنْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ ﷺ أنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاَتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثًا)) قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي(١).

٣- **قراءة سورة البقرة،** فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة، فعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يَقُولُ: ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)). قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ(٢).

٤- **قراءة آية الكرسي**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ الحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ))(٣).

٥- **قراءة خواتيم البقرة**: ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ)) [البقرة: ٢٨٥] عن رسول ﷺ أنه قال: ((من قرأهما في ليلة كفتاه))(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٣)

(٢) أخرجه ابن حبان (٨٧٠) و قال الألباني في التعليقات الحسان (٧٧٧) صحيح، دون: ثلاثة أيام.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٧٥)

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٠٨)

من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، ومن قرأ آية الكرسى كان عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فما ظنك بمن قرأها كلها من كفاية الله له وحرزه وحمايته من الشيطان وغيره، وعظيم ما يدخر له من ثوابها(١).

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلاَ يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاَثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ))(٢).

٦- **ذكر الله عز وجل**، فإن الذي لا يذكر الله يتمكن الشيطان منه، قال ربنا سبحانه: ((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)) [الزخرف: ٣٦].

فقال: ((وَمَنْ يَعْشُ)) أي: يعرض ويصد ((عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ)) الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا، وقيَّض له الرحمن شيطانا مريدا، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤزه إلى المعاصي أزا(٣).

٨- **المحافظة على الوضوء والصلاة:** عَنِ الْحَسَنِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: ((إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، وحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ؟ فَمَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَقْعُدْ، وَإِنْ كَانَ قَاعِدًا فَلْيَضْطَجِعْ))(٤).

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٢٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٨٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨٨٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦٦).

(٤) شعب الإيمان (٧٩٣٧) قال الألباني ضعيف في مشكاة المصابيح (٥١٤٥)

فالإنسان إذا غضب، وإذا ثارت قوته الغضبية أو قوته الشهوانية، فعليه أن يستعين بالله عز وجل على هذا الشيطان بالوضوء، فسواء ثار غضبك، أو ثارت شهوتك لما حرم الله عز وجل، فأطفئ ذلك بالماء.

٩- ترك المعاصي: فعلى الإنسان أن يجتنب المعاصي كلها؛ لأن الشيطان لا سبيل له على عباد الله الصالحين. ((قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)) [ص: ٧٩ - ٨٣].

١٠- ترك فضول النظر، وفضول الكلام، وفضول المخالطة: فعلى الإنسان أن يترك فضول النظر، فلا ينظر إلى كل شيء، بل يغض بصره، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: ((يَا عَلِيُّ لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ))(١).

ويترك فضول الكلام، فلا يتكلم في كل شيء، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ))(٢).

ويترك فضول المخالطة: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ

(١) أخرجه أبو داود (٢١٥١) قال الشيخ الألباني حسن التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥٥٤٤)

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) صححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤٨٢).

وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ))(١).

قال النووي رحمه الله: أما الخفي معناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه وفي هذا الحديث حجة لمن يقول الاعتزال أفضل من الاختلاط(٢).

وأخيرا: تبرؤ الشيطان من أتباعه يوم القيامة:

ومما يؤلم أن يطاع الشيطان ويتّبَع ثم بعد ذلك يتبرأ من أتباعه حينما ينتهي الأمر ويأتي الجزاء، قال تعالى: ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)). [إبراهيم: ٢٢].

والحمد لله رب العالمين

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) شرح صحيح مسلم النووي (٤/ ٢٢٧٧).

بشريات للمشتاقين إلي حج بيت رب العالمين

يَا رَاحلِينَ إلى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ. . . سِرْتُمْ جُسوماً وَسِرنَا نَحْنُ أَرْواحا
إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْر وَعَنْ قَدَرٍ. . . وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذرٍ فَقَدْ رَاحَا[١]

استجاب الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام حين دعا لبلده الحرام أن تهوي إليه الأفئدة المؤمنة وتحن إليه القلوب السليمة قال تعالى عن إبراهيم: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: ٣٧]

فها هي قلوب المؤمنين تهوي إليه كما دعا نبي الله إبراهيم عليه السلام، ولما لا وهو البلد الذي جَعَلَهُ الله مَحَلا تَشْتَاقُ إِلَيْهِ الْأَرْوَاحُ وَتَحِنُّ إِلَيْهِ، وَلَا تَقْضِي مِنْهُ وَطَرًا، وَلَوْ ترددَت إِلَيْهِ كلَّ عَامٍ. [٢]

إنها مكة، إنها أم القرى، البلد الأمين و مهبط الوحي.

كيف لا تحن إليه الأفئدة وهو بلد الله وبلد رسول الله ﷺ وصحبه الكرام، بلد التوحيد، بلد تضاعف فيه الحسنات وتعظم فيه السيئات.

كيف لا تحن إليه الأفئدة؟ وهو تاريخ الإسلام والمسلمين وفخرهم وعزهم ومحضنهم.

بلد اختاره والله واصطفاه وأقسم به فقال: {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين: ٣]

كيف لا تحن إليه الأفئدة؟ وهو بلد سطع نوره وأشرقت بهجته ولمعت زهرته وراقت نظارته وتلألأت غرته وتألق حسنه، بلد تطرب القلوب لذكره وتبتهج لسماع ندائه

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٧)
(٢) تفسير ابن كثير(١/ ٤١٣)

وأذانه، فكيف إذا رأته واستنشقت هواءه وعبيره؟! لا تدري حين رؤياه أتسبق الأقدام أم الأنفاس؟! أيظهر الفرح أم البكاء؟!

واشوقاه إلي حج بيت الله الحرام

رأى بعض الصالحين الحاج في وقت خروجهم فوقف يبكي ويقول: واضعفاه!

وينشد على أثر ذلك:

فقلت دعوني واتباعي ركابكم. . . أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد

ثم تنفس وقال: هذه حسرةُ من انقطع عن الوصول إلى البيت فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟!

- يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق، ولمن شاهد السائرين إلى ديار الأحبة وهو قاعد أن يحزن.

جسمي معي غير أن الروح عندكمُ فالجسم في غربة والروح في وطنِ[1]

كيف لا أشتاق إلي الحج وهو إلي بيت الله

الذي طهره وطيبه لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ قال تعالي { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج: ٢٦]

وهو مثاب الناس وأمنهم قال تعالى {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥]

وهو من شعائر الله قال تعالى {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١٥٨]

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٣٧)

وبه قيام أمر الناس في معاشهم ومعادهم قال تعالى {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المائدة: ٩٧]

وهو البيت العتيق قال تعالى {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: ٢٩]

وهو بيت شريف مشرف قال تعالى { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } [قريش: ٣]

كيف لا أشتاق إلي الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام

وقد قال ﷺ: ((بُنِيَ الْإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)). (١)

وهو فريضة الله علي عباده قال تعالى {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧]

كيف لا أشتاق إلي الحج وهو المتمم لأعمال الإيمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: ((إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)). قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((حَجٌّ مَبْرُورٌ)). (٢)

كيف لا أشتاق إلي الحج وهو أعظم أسباب التخلص من الذنوب

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)). (٣)

---

(١) رواه البخاري (٤٥١٤) ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر

(٢) رواه البخاري (٢٦) ومسلم (٨٣)

(٣) رواه البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠)

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: ((أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟)). (١)

كيف لا أشتاق إلي الحج وقد وعد الله مَن أداه على الوجه المشروع بالجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ)). (٢)

كيف لا أشتاق إلي الحج وهو سبب للغنى والسخاء والرخاء

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ)). (٣)

كيف لا أشتاق إلي الحج والحاجُّ وافدٌ على الله وضيف عليه

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ، فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ)). (٤)

كيف لا أشتاق إلي الحج والحاج إذا خرج من بيته حاجا فقد وقع أجره على الله

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)). (٥)

كيف لا أشتاق إلي الحج وتاركه بدون عذر هو المحروم

---

(١) رواه مسلم (١٢١)

(٢) رواه البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩)

(٣) رواه الترمذي (٨١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٦٠)

(٤) رواه ابن ماجه (٢٨٩٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٦٨)

(٥) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٣٥٧) وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٨)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ عَبْدًا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَوْسَعْتُ لَهُ فِي رِزْقِهِ لَا يَفِدُ إِلَيَّ فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَعْوَامٍ لِعَبْدٌ مَحْرُومٌ)). (١)

كيف لا أشتاق إلي الحج وقد قال النَّبِيّ ﷺ: ((مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ، وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ)). قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)). (٢)

- كيف لا أشتاق إلي الحج والصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه

عن جَابِرٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلاَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ)). (٣)

كيف لا أشتاق إلي الحج ورؤية الحجر واستلامه شهادة بالإيمان

لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الحَجَرِ: ((وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ)). (٤)

كيف لا أشتاق إلي الحج ومسح الحجر والركن يحطان الذنوب حطا

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ مَسْحَ الرُّكْنِ الْيَمَانِي وَالرُّكْنِ الأَسْوَدِ يَحُطُّ الْخَطَايَا حَطًّا)). (٥)

كيف لا أشتاق إلي الحج والطواف بالبيت يرفع الدرجات ويحط الخطايا والسيئات

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١٠٣١) والبيهقي في الشعب (٣٨٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٨٧)

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧٧٧٩) من حديث أبي هريرة وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤)

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٤٣) وابن ماجه (١٤٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧١٤)

(٤) رواه الترمذي (٩٦١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٩٤)

(٥) رواه أحمد (٢/ ٨٩) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ طَافَ بِهَذَا البَيْتِ أُسْبُوعًا { سَبْعًا } فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ ولَا يَضَعُ قَدَمًا وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَرُفِعَتْ لَهُ دَرَجَةٌ)). (١)

كيف لا أشتاق إلي الحج وفيه زمـــزم طعام طعم وشفاء سقم

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ)). (٢)

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَاءُ زَمْزَمَ، لِمَا شُرِبَ لَهُ)). (٣)

كيف لا أشتاق إلي الحج وفي عرفة يدنو الله من عباده يباهي بهم الملائكة ويحط عنهم خطاياهم

عن عَائِشَة رضي الله عنها قالت: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلاَئِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟)). (٤)

أيها المسلم: سير القلوب أبلغ من سير الأبدان، فكم من واصل إلي البيت ببدنه وقلبه منقطعٌ عن رب البيت، وكم من قاعدٍ علي فراشه في بيته وقلبه متصلٌ بالملأ الأعلى.

جسمي معي غير أن الروح عندكمُ فالجسم في غربة والروح في وطنِ

بشري لمن حبسهم العذر

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٩٥) والترمذي (٩٥٩) والطبراني (١٣٤٤٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٩١)

(٢) رواه الطبراني (١١١٦٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٢٧)

(٣) رواه ابن ماجه (٣٠٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٦٦)

(٤) رواه مسلم (١٣٤٨)

في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ)). يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ)). (١)

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((ما من عمل أزكى عند الله عز و جل ولا أعظم أجرا من خير يعمله في عشر الأضحى)). قيل ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ((ولا الجهاد في سبيل الله عز و جل الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء)). (٢)

ما يقوم مقام الحج والعمرة عند العجز عنهما

إلى مَنْ اشتاقت قلوبهم لخطوات على أرض النبوة ولم يستطيعوا، نذكِّرْهُم وإنْ لم يُحُجُّوا بأعمال مَنْ لم يَحُجّ:

أولا: نية الحج والعمرة نية خالصة صادقة لله تعالي

كما في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: ((وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ)). (٣)

والقاعدة في ذلك: المعذور مأجور.

ثانياً: ذكر الله دبر كل صلاة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ. قَالَ: ((كَيْفَ ذَاكَ؟)) قَالُوا: صَلَّوْا كَمَا صَلَّيْنَا، وَجَاهَدُوا كَمَا جَاهَدْنَا، وَأَنْفَقُوا مِنْ فُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، وَلَيْسَتْ لَنَا أَمْوَالٌ. قَالَ: ((أَفَلاَ

(١) رواه البخاري (٩٦٩) وأبو داود (٢٤٣٨) واللفظ له

(٢) رواه الدارمي (١٧٧٤) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٩٨)

(٣) رواه البخاري (٤٤٢٣)

أُخْبِرُكُمْ بِأَمْرٍ تُدْرِكُونَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ مَنْ جَاءَ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَأْتِي أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُمْ بِهِ إِلَّا مَنْ جَاءَ بِمِثْلِهِ؟ تُسَبِّحُونَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدُونَ عَشْرًا، وَتُكَبِّرُونَ عَشْرًا)). (١)

ثالثا: صلاه الفجر في جماعه والذكر حتى طلوع الشمس وصلاه ركعتين بعدها

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ)). (٢)

رابعا: حضور الجماعات والمشي الى التطوع

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ مَشَى إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ وَهُوَ مُتَطَهِّرٌ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ مَشَى إِلَى سُبْحَةِ الضُّحَى كَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ)). (٣)

خامسا: الصلاة في مسجد قباء عن أُسَيْد بْن ظُهَيْرٍ الْأَنْصَارِيّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ)). (٤)

سادساً: تعليم الخير للناس

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ)). (٥)

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه البخاري (٦٣٢٩)

(٢) رواه الترمذي (٥٨٦) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١١٩٦)

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٦٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١١٦)

(٤) رواه الترمذي (٣٢٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧١٩)

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٧٣) والحاكم في المستدرك (١/ ١٦٩) وقال الألباني حسن صحيح. صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٤٥)

الحــج
الركن الخامس من أركان الإسلام

عناصر الخطبة

بعض مسائل الحج **فضائل الحج ومكانته**
ثواب الحج وثمراته **أعمال الحج وما فيها من عظيم الأجر**

مقدمة: الحج ركن من أركان الإسلام، وشعيرة من شعاره العظام دعا إليه رب العالمين، وأوجبه على عباده المستطيعين ورتب على فعله الثواب والأجر الجزيل.

بعض مسائل الحج

- متى فرض الحج؟

فُرِضَ الحج على الصحيح سَنَة تسع من الهجرة، وهي سنة الوفود ولم يحج النبي ﷺ إلا في العاشرة؛ لكثرة الوفود عليه في تلك السنة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان. (١)

- حُكم الحج:

الوجوب على المستطيع، وهو من أركان الدين، والأصل في وجوب الحج الكتاب، والسنة، والإجماع.

أما الكتاب: فقول اللَّه تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧]

قال ابن كثير رحمه الله: هَذِهِ آيَةُ وُجُوب الْحَجِّ عِنْدَ الْجُمْهُورِ. وَقِيلَ: بَلْ هِيَ قَوْلُهُ: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [الْبَقَرَةِ: ١٩٦] وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ. (٢)

---

(١) انظر المغني لابن قدامة (٣/ ٢٣٣)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨١)

وأما السنة: فحديث ابْنِ عُمَرَ ﵄، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((بُنِيَ الْإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)). (١)

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا)). (٢)

وأما الإجماع: فقد أَجْمَعَتْ الْأُمَّةُ عَلَى وُجُوبِ الْحَجِّ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً. (٣)

- هل يجب الحج على الفور؟

من كملت له شروط وجوب الحج وجب عليه أن يحج على الفور ولم يجز له تأخيره، ويأثم إن أخَّره بلا عُذرٍ لأن الأصل في الأوامر الشرعية سرعة الامتثال إلا لدليل، ومن السنة ما يدل على هذا الحكم: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ، فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ)). (٤)

- الحج يجب مرة واحدة في العمر؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا))، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ)). (٥)

- فضل الحج ومكانته

---

(١) رواه البخاري (٤٥١٤) ومسلم (١٦)

(٢) رواه مسلم (١٣٣٧)

(٣) المغني لابن قدامة (٣/ ٢١٣)

(٤) رواه ابن ماجه (٢٨٨٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٣٩)

(٥) رواه مسلم (١٣٣٧)

١ - ركن من أركان الإسلام

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه السابق، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا))

وحديث ابْنِ عُمَرَ السابق،: ((بُنِيَ الْإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ،. . . . وَحَجِّ الْبَيْتِ)).

٢ - من أفضل الأعمال والقرُبات عند الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: ((إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)). قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((حَجٌّ مَبْرُورٌ)). (١)

٣ - الحجُّ يَعدل الجهاد في سبيل الله، وينوب عنه لمَن لا يَقدر عليه ومَن لا يُكلَّف به

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: ((لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ)). ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلاَ أَدَعُ الحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (٢)

٤- فريضة الحجِّ دائمة مستمرة حتى بعد ظهور الفتن العظام

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَيُحَجَّنَّ هَذَا الْبَيْتُ، وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ)). (٣)

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا)). (٤)

---

(١) رواه البخاري (٢٦) ومسلم (٨٣)

(٢) رواه البخاري (١٨٦١)

(٣) رواه البخاري (١٥٩٣) وأحمد (٣/ ٢٨)

(٤) رواه مسلم (١٢٥٢)

فإذا قبض الله أرواحَ المؤمنين في آخر الزمان، ولم يبق على الأرض إلَّا شِرار الخلقِ الذين تدرِكهم الساعةُ وهم أحياء، توقَّف الحجُّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُحَجَّ البَيْتُ)). (١)

- ثواب الحج وثمراته

- الحجُّ المبرور ليس له ثواب إلا الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ)). (٢)

- الحج المبرور سبب لغفران الذنوب:

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)). (٣)

وعند الترمذي: ((مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)).

والحج المبرور معناه:

أ- أن يكون من مالٍ حلال. ب- أن يبتعد عن الفسق والإثم والجدال فيه. جـ - أن يأتي بالمناسك وفق السنة النبوية. د - أن لا يرائي بحجه، بل يخلص فيه لربه. هـ- أن لا يعقبه بمعصية أو إثم.

- الإكثار من الحج والعمرة ينفيان الفقر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ)). (٤)

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩)

(٣) رواه البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠)

(٤) رواه الترمذي (٨١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٦٠)

- الحج يهدم ما قبله من الذنوب والخطايا

قال رَسُولُ اللهِ ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: ((أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟)). (١)

- الحاجُّ وافِدٌ على الله، ومَن وَفد على الله أكرَمه الله

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ، فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ)). (٢)

- من خرج حاجا فمات كُتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)). (٣)

- أعمال الحج وما فيها من الثواب العظيم

- الحاج إذا خرج من بيته قاصداً البيت الحرام كتب له بكل خطوة يخطوها هو ودابته حسنة، ومحا الله عنه خطيئة، ورفعت له درجة

لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه يرفعه، وفيه: ((فَإِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ إِذَا أَمَمْتَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ أَلَا تَرْفَعَ قَدَمًا أَوْ تَضَعَهَا أَنْتَ ودَابَّتُكَ إِلَّا كُتِبَتْ لَكَ حَسَنَةٌ، وَرُفِعَتْ لَكَ دَرَجَةٌ)). (٤)

---

(١) رواه مسلم (١٢١)

(٢) رواه ابن ماجه (٢٨٩٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٦٨)

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٣٥٧) وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٨)

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢٣٢٠) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب(٢/ ١١)

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: ((فَإِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ مَا تَضَعُ نَاقَتُكَ خُفًّا وَلَا تَرْفَعُهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ بِذَلِكَ حَسَنَةً، وَمَحَا عَنْكَ بِهِ خَطِيئَةً، وَرَفَعَ لَكَ بِهِ دَرَجَةً)). (١)

- إذا لبّى الملبّي في الحجّ، أو كبّر بُشّر بالجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ، وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ)). قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)). (٢)

- الحاج والمعتمر يكتب له بركعتي الطواف عتق رقبة من بني إسماعيل

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا وفيه: ((وَأَمَّا رَكْعَتَاكَ بَعْدَ الطَّوَافِ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ)). (٣)

- طواف الحاج أو المعتمر بين الصفا والمروة، كعتق سبعين رقبة

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق: ((وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ بَعْدَ ذَلِكَ كَعِتْقِ سَبْعِينَ رَقَبَةً)). (٤)

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ طَافَ بِهَذَا البَيْتِ أُسْبُوعًا { سَبْعًا } فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ ولَا يَضَعُ قَدَمًا وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَرُفِعَتْ لَهُ دَرَجَةٌ)). (٥)

- من طاف بالبيت العتيق واستلم الحجر الأسود شهد له يوم القيامة

---

(١) رواه ابن حبان (١٨٨٧)، والبزار (١٠٨٢) والطبراني في الكبير (١٣٥٦) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧٧٧٩) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤)

(٣) رواه البزار (٦١٧٧) والطبراني في الكبير (١٣٥٦٦) وحسنه الألباني لغيره صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)

(٤) رواه البزار (٦١٧٧) والطبراني في الكبير (١٣٥٦٦) وحسنه الألباني لغيره صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)

(٥) رواه أحمد (٢/ ٩٥) والترمذي (٩٥٩) والطبراني (١٣٤٤٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٩١)

لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الحَجَرِ: ((وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ)). (١)

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ مَسْحَ الرُّكْنِ الْيَمَانِي وَالرُّكْنِ الأَسْوَدِ يَحُطُّ الْخَطَايَا حَطًّا)). (٢)

- الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه

لحديث جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلاَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ)). (٣)

- ماء زمزم شفاء سُقمٍ وطعام طعمٍ ،وهو لما شرب له

لحديث أبي ذر رضي الله عنه، في قصته الطويلة، وفيها: أن النبي ﷺ قال له في ماء زمزم ((إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ)). (٤) **ولفظ البيهقي**: ((إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ وَشِفَاءُ سُقْمٍ)). (٥)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ)). (٦)

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَاءُ زَمْزَمَ، لِمَا شُرِبَ لَهُ)). (٧)

---

(١) رواه الترمذي (٩٦١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٩٤)

(٢) رواه أحمد (٢/ ٨٩) وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٤٣) وابن ماجه (١٤٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧١٤)

(٤) رواه مسلم (٢٤٧٣)

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦٨)

(٦) رواه الطبراني (١١١٦٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٢٧)

(٧) رواه ابن ماجه (٣٠٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٦٦)

قال ابن القيم رحمه الله: وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا وَغَيْرِي مِنَ الِاسْتِشْفَاءِ بِمَاءِ زَمْزَمَ أُمُورًا عَجِيبَةً، وَاسْتَشْفَيْتُ بِهِ مِنْ عِدَّةِ أَمْرَاضٍ، فَبَرَأْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَشَاهَدْتُ مَنْ يَتَغَذَّى بِهِ الْأَيَّامَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ الشَّهْرِ، أَوْ أَكْثَرَ، وَلَا يَجِدُ جُوعًا. (١)

- يغفر الله تعالى لأهل عرفات ،وأهل المشعر

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا وفيه: ((وَأَمَّا وُقُوفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ: عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا مِنْ كِلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ كَعَدَدِ الرَّمْلِ، أَوْ كَقَطْرِ الْمَطَرِ، أَوْ كَزَبَدِ الْبَحْرِ لَغَفَرْتُهَا، أَفِيضُوا عِبَادِي مَغْفُورًا لَكُمْ وَلِمَنْ شَفَعْتُمْ لَهُ)). (٢)

ولحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لهم وهو واقف بِعَرَفَاتٍ ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفًا فَأَقْرَانِي مِنْ رَبِّيَ السَّلاَمَ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ غَفَرَ لِأَهْلِ عَرَفَاتٍ وَأَهْلِ الْمَشْعَرِ وَضَمِنَ عَنْهُمُ التَّبِعَاتِ))، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقال: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا لَنَا خَاصٌّ؟ ، فَقَالَ: ((هَذَا لَكُمْ، وَلِمَنْ أَتَى بَعْدَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))، فَقَالَ عُمَرُ: كَثُرَ خَيْرُ اللهِ وَطَابَ. (٣)

- الحاج له بكل حصاة يرمي بها الجمار تكفير كبيرة من الموبقات

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه: ((وَأَمَّا رَمْيُكَ الْجِمَارِ فَلَكَ بِكُلِّ حَصَاةٍ رَمَيْتَهَا كَبِيرَةٌ مِنَ الْمُوبِقَاتِ)). (٤)

---

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٩٨)

(٢) رواه البزار (٦١٧٧) والطبراني في الكبير (١٣٥٦٦) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)

(٣) رواه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ١٢٨) وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣)

(٤) رواه البزار (٦١٧٧) والطبراني في الكبير (١٣٥٦٦) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)

- يُعطى الحاج بكل شعرة حلقها حسنة، وتُمحى عنه بها خطيئة، وله بكل شعرة نور يوم القيامة، وما ينحره من الهدي مُدّخَرٌ له عند الله

لحديث ابن عمر ﷺ السابق وفيه ((وَأَمَّا نَحْرُكَ فَمَذْخُورٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ وَأَمَّا حِلاقُكَ رَأْسِكَ فَلَكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَلَقْتَهَا حَسَنَةٌ وَيُمْحَى عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ)). (١)

وفي حديث عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعا: ((وَأَمَّا حَلْقُكَ رَأْسَكَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَعْرِكَ شَعَرَةٌ تَقَعُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا كَانَتْ لَكَ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). (٢)

- إذا طاف الحاجُّ طواف الوداع خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه

لحديث ابن عمر ﷺ مرفوعا وفيه: ((وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالْبَيْتِ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّكَ تَطُوفُ، ولاَ ذَنْبَ لَكَ يَأْتِي مَلَكٌ حَتَّى يَضَعَ يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْكَ فَيَقُولُ: اعْمَلْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى)). (٣)

ولحديث عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعا، وفيه: ((وَأَمَّا الْبَيْتُ إِذَا وَدَّعْتَ، فَإِنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ)). (٤)

إذا انشرح صدرك وعزمت على الحج فأوصيك بهذه الوصايا السريعة:

١- الإخلاص لله وقصد وجه الله عز وجل بالحج.

٢- الاستخارة والاستشارة: فلا خاب من استخار ولا ندم من استشار.

٣- تعلم أحكام الحج والعمرة وما يتعلق بهما: وكتب الأحكام متوفرة وميسورة بحمد الله.

---

(١) رواه البزار (٦١٧٧) والطبراني في الكبير (١٣٥٦٦) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٣٢٠) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١١)

(٣) رواه البزار (٦١٧٧) والطبراني في الكبير (١٣٥٦٦) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢٣٢٠) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١١)

٤- توفير المؤونة والاحتياجات لأهلك والوصية لهم بالتقوى.

٥- التوبة إلى الله عز وجل من جميع الذنوب والمعاصي، وردُّ المظالم لأهلها وتحللُهم منها.

٦- الحرص على النفقة الحلال من الكسب الطيب، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

٧- اختيار الرفقة الصالحة الذين يذكرونك إذا نسيت ويعلمونك إذا جهلت.

٨- توطين النفس على تحمل مشقة السفر ووعثائه: فإن بعض الناس يتأفف من الحر أو قلة الطعام أو طول الطريق أو الازدحام، وكأنه خرج للنزهة والترفيه، فإياك أن تفسد حجك بالمن والأذى وضيق الصدر وإيذاء المسلمين، بل عليك بالرفق والسكينة.

٩- اجتناب الذنوب والمعاصي بأنواعها، والتحلي بغض البصر وحفظ اللسان والجوارح.

والحمد لله رب العالمين

المعاني الإيمانية في فريضة الحج

ما إن تدخل أشهر الحج حتى يُقبل حجاج بيت الله من أطراف الأرض ومن جميع أجناس البشر وطبقات المجتمعات وأصناف الناس بقلوب مملوءة بالشوق والمحبة، يتلذذون بالمشقات في الأسفار، ويفرحون بمفارقة الأهل والأصحاب والأوطان، ويحسّون أن ساعات الحج أسعد ساعات العمر، ويعظمون مشاعر الحج بقلوبهم، وينفقون الأموال بسخاوة نفس وطيب قلب، فتعالوا نشاركهم تلك المشاعر ونعيش معهم في كل مشعر من المشاعر بقلوبنا، لعل الله أن يمن علينا بفضله ونكون معهم يوما من الدهر لنؤدي تلك المشاعر.

١- **ملابس الإحرام**: يستشعر المسلم أنها تُشْبِهُ الكَفَن الذي يرتديه المَوْتى، وَكَأَنَّك بهذه الملابس تستعدُّ للقاء الملك - سبحانه وتعالى - فهو نفس الزيّ الذي ستُقابله به عندما تموت؛ فهو زِيٌّ لا جيوبَ له؛ لأنك لن تأخذَ مَعَكَ شيئًا مِن الدنيا إلا عملَك.

٢- **عندما تجتنب محظورات الإحرام**: تستشعر الاستِسلام والخضوع والانقياد التامَّ لأوامر الملك - جَلَّ جَلالُه - وهذا مقتضى العبودية، فالشرع منعك من الحَلْق حال إحرامك، وكذا الصَّيْد، وكذا اللغو والرفث وغيرها من المحظورات، وأنت تقول: سمعًا وطاعةً يا رب.

٣- **التلبية لَبّيْكَ اللهم لَبّيْكَ**: تَستشعِر سرعة الامتِثال لأمر الملك - سبحانه وتعالى - والاستجابة لندائه، فكأنك تقول: تركتُ حياتي كلَّها وأتيتُ، لا أترُكُها لأحدٍ سواك، لَبَّيْكَ في كل طاعة، لَبَّيْكَ في تَرْك كل معصية، لَبَّيْكَ في مُعاهَدةٍ للاستِقامة على طريق الطاعة.

لابد أنْ تظل طوال حياتك تقول: لَبَّيْكَ، لا يَصِحُّ أنْ تقولها في الحج ثم تعودُ من الحج لِتقول: سمعنا وعصَينا.

٤- **وأنت تقول: لَبَّيْكَ لا شريكَ لكَ لَبَّيْكَ**: تستشعِر نعمة التوحيد؛ أن اللهَ وَحْدَهُ هو الذي يَرزُق، وأنه وَحْدَهُ الذي يَأمُر وينهى ويُشرِّع فالحمدُ لله على نعمة التوحيد.

٥- **عند دخولك الحرَم**: تذكَّر أن الصلاة في هذا الحرم بـ ١٠٠ ألف صلاة، فتقول: أحَقًّا يا رب، قد مننتَ عليَّ أنا - العبد العاصي المُذنِب - وأتَيْتَ بي إلى هذا المكان العظيم؛ حتى تُعْطِيَني كل هذه الحسنات؟! يا رب، أنا لا أستحق هذا الكرم.

٦- **عند رؤية الكعبة**: تذكَّر أن هذه هي قِبلة المسلمين في جميع أنحاء العالم، التي يتوجَّه إليها كل مسلم في صلاته، هذه هي الكعبة التي فوقها مُباشَرةً البيت المعمور في السماء السابعة، الذي يطوف حوله في كل وقت سبعون ألف ملَك.

وتذكّر أن هذا هو المَوْضِع الوحيد على وجه الأرض الذي يُمكنِك أنْ تُشاهِد فيه معنى: ما مِن مَوْضِع أربع أصابع، إلا ورجلٌ ساجد، أو راكع، أو يطوف، أو قارئ، أو داعٍ، أو باكٍ، وهكذا.

٧- **عندما تَستلِم الحجر الأسود** ينبغي أنْ تتذكَّر: لماذا جُعل استلامه أول الشعائر في الحج؟ لأن الحجر الأسود مِن الجنة، وَكَأنَّ اللهَ يُذكِّرُكَ بالهدف الذي أتيتَ مِن أجله، وتركتَ حياتك مِن أجله، وأنفقتَ كل هذه النقود مِن أجله، وبذلتَ كل هذا المجهود مِن أجله، ألاَ وهو الجنة.

فتَذَكُّرُكَ للهدف يُشْعِلُ قلبَك، وَيُتعِبُ جوارحك في طاعة الله تعالى، وتذكَّر أيضًا أن هذا الحجَر كان أبيضَ كالثلج، ولكن سَوَّدَتْهُ ذنوب بني آدم، فاحذر من المعاصي والذنوب؛ لأنها قد تُسَوِّدُ أيَّ شيءٍ في حياتك كما سَوَّدَت هذا الحجر.

٨- **الطواف**: وأنتَ تطوف تَستشعِر المعنى الإيماني للطواف، وهو: استرضاء الله - سبحانه وتعالى - وكأنك تقول: كيف أُرضيك يا رب؟ افتح لي أيَّ باب يُوصِّلني إليك، أنا مُنتظِرٌ أيَّ رحمة أو نفحة تَمُنُّ عليَّ بها؛ فالطواف علامة شوق للوصول إلى الله، والنظر إلى وجههِ الكريم

تساءل دائما: كيف أستطيع الوصول إليك يا رب؟

٩- **السّعْي**: تَستشعِر قوْلَ اللهِ تعالى: { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا } [يس: ٣٨] يعني: تجري إلى المكان الذي ستَسجُد فيه تحت عرش الملك العظيم - سبحانه وتعالى.

ثم تذكَّر، لماذا يكون السَّعْي بعد الطواف؟

لأنك في الطواف كنتَ تقول: كيف أَصِلُ إليك يا رب؟ فكأنَّ اللهَ يقول لك: لابدَّ أنْ تسعى وتُجاهد حتى تَصل إليَّ، فلن تصل إلى الجنة، ولا إلى رِضا الملك - سبحانه وتعالى - دونَ سعيٍ ومُجاهَدة، لن يُفتَحَ عليك في الدنيا بدون سَعْي؛ قال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران: ١٤٢].

لا بدَّ أنْ تتعبَ لله، وأنْ تَستشعِر لذَّة التعب لِمَن تُحبُّ، وأنْ تستشعِر أيضًا أن الله يَراك وأنت تتعب في تنفيذ أوامره؛ قال تعالى: { الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ } [الشعراء: ٢١٨] وكذلك تستشعِر أن الله - تعالى - سيُجازيكَ على هذا التعب ويُكافِئك عليه، قال تعالى: { إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا } [الإنسان: ٢٢].

وتذكَّر، وأنت تذهَب إلى المروة شوطًا، ثم تعود إلى الصَّفا وهكذا سبع مرات، وَكَأَنَّك تقول: يا رب، أنا لن أتركَ بابًا يوصلني إليك، بل ولن أقف عليه مرةً أو مرَّتَين وفقط، ولكن سأظلُّ أقف عليه، وأذهب وأجيء إليه حتى تَفتحَ لِي بابك، لن أيئَس يا رب حتى ترضى.

١٠- **زمزم**: هذه البئر العظيمة، التي يصل عمرها إلى آلاف السنين، وإلى الآن ما زالت تَروينا، ويَحمِلُ الناس أطنانًا منها إلى باقي البلاد، ولم تجفَّ، مع أن كل الآبار التي قبلها قد جَفَّتْ تمامًا، إنها معجزة إلهية تحتاج إلى تأمل.

١١- **الوقوف بعرفة**: هذا اليوم العظيم، الزحام شديد، الناس يُلَبُّونَ بجميع اللغات، اللهُ - تعالى - يتنزَّل؛ يغفرُ الذنوب، يُجيب الدعاء، يعتِق مِن النار، يمنح العطاءات والرحمات.

- سبحانَ الله العظيم، يوم عرفة هذا يُعلِّمنا أننا أمة واحدة، قوية، مُتماسِكة، فلماذا التمزُّق والتفرُّق والاختلاف بعد الحج؟

١٢- **المزدلفة**: يأتي معناها مِن الزُّلفة؛ أي: القُربَة؛ يعني: كأنه المكان الذي نَقف فيه لنتقربَ إلى الله، سبحان الله، تجد في هذا المكان ملايين الناس يَرتدون ملابس الكفن البيضاء، ويَستيقِظون مِن النوم معًا، وتجدهم واقفين في التراب معًا، وَكَأَنَّ المشهد قريبٌ مِن منظر البعث، وَكَأَنَّ الحَجَّ يُرَبِّينا على الاستعداد للدار الآخِرة.

١٣- **رَمْي الجمرات**: تلاحظ عند رَمْي الجمرات أنك ترمي في أول يوم ٧ جمرات، ثم ترمي في اليوم الثاني ٢١ جمرة، وفي الثالث ٢١ جمرة، وفي الرابع ٢١ جمرة، فيكون المجموع كله ٧٠ جمرة، يعني ما يَقرُب مِن عدد شُعَب الإيمان، وَكَأَنَّك ترجم الشيطان على كل شعبةٍ يقف لك عليها حتى يُحبِطَكَ، وَيَشغلكَ عنها، فكأنك ساعَتَها تقول: يا رب، إنني سأجاهد الشيطان، وسأُحاربه في كل شعبة، يا رب، سأدخل كل الشُّعَب بإذنك وفضلك ومعونتك، لن أجعل شيئًا يُعطِّلني أو يَمنعني من الوصول إليك، سأتحمَّل يا رب ولن أتكاسَل بعد اليوم.

١٤- **الهَدْي والأُضحِيّة**: تُعلِّمنا التضحية لله، أضحِّي بمَحبوباتي وشهواتي مِن أجلك يا رب، أضحي بروحي من أجلِك يا رب؛ قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ } [التوبة: ١١١].

١٥- **طواف الوداع**: مَن مِنَّا يستطيع أنْ يتحمَّل قلبُه هذا الوداع؟ أحَقًّا سأترك كل هذا الثواب، وكل هذه النفحات والرحمات وأرحل؟! أحقًّا سأُودِّع هذا البيت العظيم

الذي فيه الصلاة بـ ١٠٠ ألف صلاة، مِن أين سأحصل على هذه الحسنات مرة أخرى؟! يا رب، لا تَحرِمني العَوْدة إلى هذا المكان العظيم مرةً أخرى.

١٦-**وأخيرا زيارة الحبيب** ﷺ هذا لقاء حقيقي بينك وبين النبيِّ الكريم، صاحب الخلُق العظيم، النبي الخاتَم، الذي نقرأ سيرته العَطِرة ولم نَرَهُ بأعيننا، لقاء كُلُّهُ حُبٌّ وَشَوْق، لقاءٌ فيهِ خجل رهيب من التقصير في اتباع سُنَّته ﷺ بعد أنْ أفنى عُمرَهُ، وَضَحَّى بروحِهِ، حتى يصلَ إليك هذا الدين العظيم، بعد أنْ تورَّمت قدماهُ في عبادة ربه، أين أنت من هذا؟ هل ترغبُ بنفسك عن نفسِه؟!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)). (١)

باللهِ عليك، ألاَ يستحقُ منك هذا النبيُّ العظيم، الذي آثرَكَ على نفسِه، أنْ تُحِبَّهُ أكثر مِن ولدك ومالك والناس أجمعين؟!

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه مسلم (١٩٩)

مع النبي ﷺ في حجة الوداع[١]

في مدينة رسول الله ﷺ

وبعد تسع سنوات من هجرته ﷺ وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً، وأقبلت الوفود من قبائل العرب تؤم طيبة الطيبة، يفدون على رسول الله ﷺ في سنة الوفود، سنةِ تسع للهجرة.

وتدخل سنة عشر فيؤذِن رسولُ الله ﷺ الناسَ بالحج، فتزدحم المدينة ببشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله. [٢]

بداية الرحلة المباركة

خرج ﷺ من المدينة بعد صلاة الظهر من يوم السبت السادس والعشرين من شهر ذي القعدة[٣]، ثم نزل بذي الحليفة فأقام بها يومه وبات بها ليلته؛ حتى يتتابع إليه الناس ويدركه من بعد عنه، فلما أصبح، قال: ((أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، أَنْ صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةٌ وَحَجَّةٌ)). [٤]

ثم تهيأ ﷺ لإحرامه، أشعر هديه وقلده[٥]، واغتسل ولبَّد رأسه [٦]، وتطيب من كفي عائشة رضي الله عنها بأطيب الطيب، ثم لبس إحرامه وصلى الظهر، ثم استقل راحلته على غاية من التواضع والخشوع، والتعظيم والخضوع.

---

(١) مأخوذة من خطبة للشيخ سامي بن خالد الحمود ومختصرة من زاد المعاد لابن القيم

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه

(٣) رجح ذلك ابن القيم لظاهر روايات الصحيح وللجمع بينها. راجع زاد المعاد (٢/ ٩٨)

(٤) رواه البخاري (٧٣٤٣) وغيره من حديث عمر رضي الله عنه

(٥) الإشعار هو أن يجرح البدنة في صفحة سنامها اليمنى بسكين أو نحوها ثم يسلت الدم عنها.
والتقليد: أن يجعل في عنقها قلادة لتعرف أنها من الهدي.

(٦) التلبيد هو أن يجعل المحرم في رأسه شيئا من الصمغ ليلتصق شعره فلا يسقط منه شيء وهو محرم

انظر إلى راحلته ورحله، وإلى فراشه ومتاعه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ، رَثٍّ، وَقَطِيفَةٍ لا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ حَجَّةٌ لَا رِيَاءَ فِيهَا، وَلَا سُمْعَةَ)). (١)

وعندما انبعثت به راحلته استقبل القبلة وحمد الله وسبح وكبر وأحرم بالحج ولبى: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. (٢)

الموكب المهيب الذي يهز الأفئدة

سار ﷺ بهذه الجموع الزاحفة، تحيط به القلوب وترمقه المقل، وتفديه المهج، لم توطأ له المراكب، ولم تتقدمه المواكب، وإنما سار في غمار الناس، ليس له شارة تميزه عنهم إلا بهاء النبوة وجلال الرسالة.

وينزل عليه جبريل فيقول: ((يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أَصْحَابَكَ فَلْيَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ، فَإِنَّهَا مِنْ شِعَارِ الْحَجِّ)). (٣)، فاهتزت الصحراء بضجيج الملبين، وتجاوبت الجبال بهتافهم بتوحيد رب العالمين. لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، لبيك إله الحق، لبيك ذا المعارج، لبيك وسعديك، والخير في يديك والرغباء والعمل. (٤)

فكان أصحاب النبي ﷺ يصرخون بالتلبية صراخا ولذلك قال يَعْقُوبُ بْنُ زَيْدٍ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لاَ يَبْلُغُونَ الرَّوْحَاءَ، حَتَّى تُبَحَّ أَصْوَاتُهُمْ مِنْ شِدَّةِ تَلْبِيَتِهِمْ. (٥)

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٨٩٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٧٩)

(٢) روى ذلك البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وابن عباس وجابر رضي الله عنهم.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٧٣) من حديث السائب بن خلاد رضي الله عنه.

(٤) كلها ألفاظ صحيحة إما في الصحيحين وإما خارجهما مع تصحيح الألباني لها

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٨٤٩) راجع مناسك الحج والعمرة للألباني (ص: ١٧)

ولما قَرُب النبي ﷺمن مكة نزل مكاناً يقال له "سَرف"، فحاضت عائشة رضي الله عنها، فدخل عليها فإذا هي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: والله لوددت أن لم أكن خرجت العام، قال: لعلك نَفِستِ؟ أي حضتِ، قالت: نعم. فجعل ﷺ يواسيها ويقول: ((إن هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، افعلي ما يفعل الحاج، غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري)). (١)

وقد أخذ العلماء من هذا أن المرأة المتمتعة إذا حاضت قبل أن تطوف طواف العمرة، ولم تطهر قبل وقت الوقوف بعرفة فإنها تدخل الحج على العمرة فتكون قارنة، وتفعل ما يفعل الحاج، وتؤخر الطواف والسعي حتى تطهر. (٢)

على مشارف أم القرى ويا لهفة المشتاق

وبعد ثمانية أيام، وصلَ رسول الله ﷺ إلى مكة، ولما قرب من مكة بات عند بئر "ذي طوى". في المكان المعروف اليوم بجرول أو آبارِ الزاهر، ليستريح من نصب الطريق ووعثاء السفر، فلما أصبح اغتسل ثم دخل مكة ضحى يومِ الأحد من ثَنِيَّة كَداء، وهي التي تنزل اليوم على جسر الحَجون. (٣)

فأناخ راحلته عند المسجد، ودخل من باب بني شيبة لأنه أقرب الطرق إلى الحجر الأسود(٤)، وهو الباب الذي كان يدخل منه يوم كان بمكة أيام الدعوة والصبر والبلاء، فيا لله ما الذي كان يتداعى في خاطره في تلك الساعة. . أَمَا دخل الحرم ليصلي فيه قبل نحو عشر سنين فألقوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد؟ أَمَا دخل

(١) رواه البخاري (٣٠٥) ومسلم (١٢١١)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٦٠٩)

(٣) رواه البخاري (١٥٧٤) ومسلم (١٢٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه مسلم (١٢٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) مناسك الحج والعمرة للألباني (ص: ١٩)

الحرم فقام إليه ملأ من قريش فأخذوا مجامع ردائه فخنقوه به. . فإذا به اليوم يدخل الحرم، وقد صَدَقه ربُّه وعده، وأظهره على الدين كله.

ويسير ﷺ إلى الكعبة المشرفة، فيستلم الحجر الأسود ويكبر فتفيض عيناه بالبكاء، ثم يضعُ شفتيه عليه فيقبلُه، ثم يطوف بالبيت سبعة أشواط، فلما فرغ من طوافه مشى إلى مقام أبيه إبراهيم فصلى خلفه ركعتين، ثم عاد إلى الحجر فقبله، ثم توجه إلى الصفا فصعده وهو يقرأ: {إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ} [البقرة: ١٥٨] ((أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ)) فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ)) ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ. (١)

القلوب المشتاقة لرؤية الحبيب

وفي هذه الأثناء، فشا الخبر في مكة وتنادى الناس: رسول الله في المسجد. . . ، رسول الله على الصفا والمروة. . . فجاءت القلوب المتشوقة، والعيون الظامئة، تريد أن ترى مُحيَّا رسول الله ﷺ، حتى خرج العواتق والإماء يقلن: هذا رسول الله، هذا رسول الله! وازدحم الناس عليه ينظرون إلى وجهه المنور، فلما كثروا حوله وكان كريماً سهلاً، أمر براحلته فركبها ليُشرِف للناس ويروه كلهم، شفقة عليهم، ثم أتم ﷺ سعيه راكباً(٢)، فلما قضى سعيه أمر من لم يسق الهدي من أصحابه أن يحلوا من

(١) رواه مسلم (١٢٨)

(٢) رواه مسلم (١٢٦٤) بنحوه

إحرامهم ويجعلوها عمرة، ثم سار بمن معه حتى نزل بالأبطح شرق مكة وهو مكان فسيح واسع يشمل اليوم ما يسمى العدل والمعابدة إلى الحَجون، فنزل بالناس وأقام بهم أربعة أيام، يومَ الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء. (١)

الخروج إلى منى وبلوغ المُنى

فلما كان ضحى الخميس اليومِ الثامن يومِ التروية، ركب ﷺ إلى منى، وخرج معه الصحابة الذين كانوا قد حلوا مهلين بالحج، وفي منى صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر يقصر الرباعية ركعتين، ويصلي كل صلاة في وقتها، وكأنما كان هذا النفير تهيئةً وإعداداً للنفير الأكبر إلى عرفات.

وبات ﷺ بمنى ليلة التاسع، فلما أشرقت شمس اليوم التاسع، خيرِ يوم طلعت فيه الشمس، يومِ الجمعة يومِ عرفة، سار الركب الشريف من منى إلى عرفات، حتى وصل إلى نَمِرة فإذا قبة قد ضُرِبت له هناك، فجلس فيها حتى زالت الشمس، ثم ركب راحلته القصواء، ونزل بها إلى بطن وادي عُرَنَة، فاجتمع الناس حوله في بطن الوادي، وهو على راحلته، وأشرف للناس ليخطُبهم خُطبة عظيمة، جمع فيها معاقد الدين، وعصم الملة، وعظّم الحرمات، فدوى صوته بين أهل الموقف، وقال: ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ

(١) روى نحو ذلك البخاري (١٦٥٣) ومسلم (١٣٠٩) راجع زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٢١٥)

فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ)). ثم أقبل ﷺ على هذه الجموع يستشهدهم شهادة عظيمة، شهادة البلاغ والأداء ويقررهم بالجواب إذا سئلوا: أيها الناس، إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟.

ألا ما أعظم السؤال! وما أعظم المَقام! ثلاثة وعشرون عاماً قضاها رسول الله ﷺ في البلاغ والدعوة، والصبر والمصابرة، والجهد والجهاد، ومع ذلك يَسأل ويَستشهِد على بلاغه لأمته، فأجابته الجموع بفمٍ واحد: نشهد أنك قد بلَّغت ونصحت وأديت الذي عليك، فرفع ﷺ إصبعه الشريفة إلى السماء، وجعل ينكتها إلى الناس وهو يقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد. (١)

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خطبته، أذن بلال وأقيمت الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر قصراً وجمعاً، ثم ركب راحلته ودفع إلى عمق عرفة ليقف عند الصخرات مستقبلاً القبلة رافعاً يديه داعياً وملبياً.

وظن أصحابه أنه قد صام يومه ذلك، فأرسلت إليه أم الفضل بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشرب منه والناس ينظرون إليه. (٢)

وينزل الروح الأمين جبريل على قلب محمد ﷺ بالوحي من ربه في هذا الموقف العظيم بهذه الآية العظيمة { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] فسري عن رسول الله ﷺ فقرأها على الناس معلناً كمال الدين وتمام النعمة، فلما سمعها عمر رضي الله عنه فَقِهها، واستشعر من

(١) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (١٦٦١) ومسلم (١١٢٣)

معناها أن مهمة رسول الله ﷺ قد انتهت، فاستعبر باكياً وهو يقول: ليس بعد الكمال إلا النقصان.

وقضى رسول الله ﷺ بقية يوم عرفة في حال من التضرع واللهج بالدعاء والثناء على الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ولما كان آخرَ النهار دعا ﷺ بأسامة بن زيد، ليكون رديفه، هذا الشاب الأسود الأفطس الأجعد رضي الله عنه هو الذي حظي بشرف إرداف النبي ﷺ، وكأنه ﷺ بهذا الانتخاب والاختيار يعلن تحطيم الفوارق بين البشر، ويدفن تحت مواطئ راحلته كل النعرات الجاهلية، والنزعات العنصرية، فلا فضل لعربيٍ على أعجمي، ولا لأبيَض على أسودٍ إلا بالتقوى.

فلما غربت الشمس أشار ﷺ للناس قائلاً ((ادفعوا على اسم الله)). (١)

وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ودفع الناس معه وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ((أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ)).

فلما وصل مزدلفة صلى المغرب والعشاء جمع تأخير، ثم نام ﷺ ليلته تلك إلى السحر، بعد يومٍ طويلٍ، حافلٍ بالأعمال العظيمة.

وفي صباح اليوم العاشر، قام ﷺ مسارعاً إلى صلاة الفجر، فصلاها في غاية البُكور في أول الوقت، ثم ركب راحلته وتوجه إلى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة ورفع يديه، يدعو ويلبي، ويكبر ويهلل حتى أسفر جداً، وقاربت الشمس أن تطلع، فدفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس مخالفاً هدي المشركين، وأردف ابن عمه الفضل بن العباس بن عبد المطلب، وأمره أن يلقط له حصى الجمار، فالتقط له سبع حصيات

(١) رواه ابن ماجه (٣٠٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٥٨)

صغار بحجم حبة الحمص أو أكبر قليلاً، حتى إذا وصل وادي محسّر، بين مزدلفة ومنى، أسرع قدر رمية بحجر.

وصل النبي ﷺ إلى منى، فبدأ بجمرة العقبة فاستقبلها جاعلاً منىً عن يمينه، ومكةَ عن يساره، فرمى الجمرة بسبع حصيات، يكبِّر مع كل حصاة، وكان في شأنه كله متواضعاً لله، معظماً لشعائره، وازدحم الناس حوله فقال: ((يا أيها الناس لا يقتلْ بعضكم بعضا، وإذا رميتم فارموا بمثل حصى الخذف، ولتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)). (١)

ثم انصرف النبي ﷺ إلى المنحر لينحر هديه، فلما قُرِّبت إليه الإبل لينحرها إذ بها تزدلف إليه وتتسابق أيُّها ينحره بيده الشريفة. . إذا كان هذا هو شعور الحيوانات العجماوات فكيف بقلوب المحبين التي امتلأت حباً وشوقاً لمحمد ﷺ.

نحر ﷺ بيده الشريفة ثلاثاً وستين بدنة، بعدد سني عمره المبارك، ثم أمر علياً بنحر ما بقي منها، وأن يقسم لحومها وجلودها بين الناس. (٢)

ثم دعا رسول الله ﷺ بالحلاق ليحلق رأسه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى مِنًى، فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ الْأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ. (٣)

ودعا رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً، فقال: ((اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ)) قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ)) قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((وَالمُقَصِّرِينَ)). (٤)

---

(١) رواه أبو داود (١٩٦٦) وحسنه الألباني صحيح أبي داود (٦/ ٢٠٨)

(٢) رواه مسلم (١٢٨) بمعناه من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٣٠٥)

(٤) رواه البخاري (١٧٢٧) ومسلم (١٣٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وبعد أن حلق ﷺ رأسه، نزع إحرامه، وطيبته عائشة رضي الله عنها بأطيب ما تجد من الطيب، ثم ركب إلى البيت، فلما وصل الكعبة طَافَ بِالْبَيْتِ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ بِمِحْجَنٍ كَانَ مَعَهُ، وَأَتَى السِّقَايَةَ، فَقَالَ: ((اسْقُونِي))، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا فَضْلُ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ فَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا، فَقَالَ: ((اسْقوني))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ وَلَكِنَّا نَأْتِيكَ بِهِ مِنَ البَيْتِ، فَقَالَ: ((لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ، اسْقُونِي مِمَّا يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ)). (١)

وبعد أعمال يوم النحر، عاد ﷺ إلى منى، فصلى بالناس صلاة الظهر، ثم مكث بها يومه يصلي الصلوات قصراً في أوقاتها، ويعمر وقته بذكر الله.

فلما زالت الشمس في اليوم الحادي عشر توجه إلى الجمرات ماشياً فبدأ بالصغرى فرماها بسبع حصيات يكبر الله مع كل حصاة، ثم تقدم حتى أسهل بعيداً عن زحام الناس، فرفع يديه واستقبل القبلة ودعا وتضرع طويلاً، ثم قصد الجمرة الوسطى فرماها كما رمى الصغرى، ثم أخذ ذات الشمال واستقبل القبلة ورفع يديه داعياً متضرعاً وأطال الوقوف، ثم رمى جمرة العقبة ولم يقف عندها. وهكذا صنع في رمي الجمار في اليوم الثاني عشر والثالث عشر.

لقد كان ﷺ سمحاً في إقامة المناسك، فرخص للرعاة أن يرموا يوم النحر ثم يدعوا يوماً ثم يرموا من الغد، ورخص للعباس رضي الله عنه أن يبيت بمكة لأجل سقايته، وكان يقول لمن قدم وأخر: افعل ولا حرج، فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلاَ أُخِّرَ إِلَّا قَالَ: ((افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ)). (٢)

ذكريات وأيام لا تُنسى

(١) رواه البخاري (١٦٣٥) وأحمد (١/ ٢١٤)

(٢) رواه البخاري (١٢٤) ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يخرج من منى، تذكر أيام الدعوة الأولى التي شهدتها هذه الأماكن، فقال: ((نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ)). يَعْنِي ذَلِكَ المُحَصَّبَ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ، تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ: أَنْ لاَ يُنَاكِحُوهُمْ وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ، حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ. (١)

لقد اختار رسول الله ﷺ خيف بني كنانة لنزوله؛ ليظهر جميلَ صنع الله وصدقَ موعوده، فهذا المكان هو الذي تحالفت فيه بنو كنانة مع قريش عَلَى إِخْرَاج النبي ﷺ وَبَنِي هَاشِم وَبَنِي الْمُطَّلِب مِنْ مَكَّة إِلَى هَذَا الشِّعْب، وَكَتَبُوا بَيْنهمْ الصَّحِيفَة الْمَشْهُورَة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فها هو محمد ﷺ ينزل في ذات المكان وقد أظهره الله على الدين كله، ونصره وأعزه، وفتح له فتحاً مبيناً.

فلما رمى في اليوم الثالث عشر نفر إلى خيف بني كنانة المسمى بالمحصَّب، فصلى هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم نام حتى كان آخر الليل فاستيقظ وسار بمن معه إلى الكعبة، فطاف طواف الوداع، وصلى بالناس صلاة الصبح يترسل في قراءته بسورة الطور، وكانت هذه آخر صلاة صلاها أمام الكعبة.

ثم خرج ﷺ من مكة من أسفلها من ثَنيَّة (كُدَي) وهي المعروفة اليوم بالشُّبَيكة، وتفرقت الجموع التي كانت معه في فجاج الأرض، وما علمت أنه وهو يودعها كان يودع الدنيا، وأن كان في الأيام الأخيرة من حياته، فلم يمض إلا شهران وأيام حتى لحق بالرفيق الأعلى والمحل الأسنى.

صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه البخاري (١٥٩٠)

فوائـــد ودرر

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "خير الأعمال ماكان لله أطوعَ، ولصاحبه أنفع. . . " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - (٦ / ٣٣٤)

قال بعض السلف: "قد أصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه فلا ندري أيهما نشكر، أجميلُ ما ينشر أم قبيح ما يستر. . . ؟ "
قالوا: إن العلم كان في صدور الرجال ثم انتقل إلى الكتب وصارت مفاتحه بأيدى الرجال. الموافقات - (١ / ٩٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "ومن تدبر أصول الشرع علم أنه يتلطف بالناس في التوبة بكل طريق". تفسير آيات أشكلت (٢/ ٥٩٥)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "النِّيَّة المجردة عن العمل يُثاب عليها، والعمل المجرد عن النّية لا يثاب عليه". مجموع الفتاوى (٢٢ / ٢٤٣).

قال بعض السلف: "إذا قصر العبد في العمل ابتلاه الله بالهموم". قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "ليس في الدنيا نعيمٌ يشبه نعيم الآخرة إلا نعيم الإيمان". مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣١).

سئل الإمام أحمد -رحمه الله-: "متى الراحة؟ قال: عند أول قدم أضعها في الجنة". طبقات الحنابلة - (١ / ٢٩١)

قال ابن القيم -رحمه الله- مفتاح دار السعادة - (١ / ٧٠): الجهاد نوعان:

جهاد باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير.

والثاني: الجهاد بالحجَّة والبيان، وهو جهاد الخاصّة من أتباع الرُّسل، وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدّة مؤونته وكثرة أعدائه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: كلُّ مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرَّحمة إلى ضدّها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشَّريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل [إعلام الموقعين: ٣/٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: في [المنهاج ٣٧٨/٣]: إذا صار لليهود دولةٌ في العراق يكون الرّافضة أعظم أعوان لهم. قال ابن القيم -رحمه الله- "إذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم، طالب للدليل، محكم له، متبع للحق حيث كان، وأين كان، ومع من كان، زالت الوحشة وحصلت الألفة وإن خالفك؛ فإنه يخالفك ويعذرك. والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بلا حجة، وذنبك: رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته الذميمة، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب، فإن الآلاف المؤلفة منهم؛ لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم، والواحد من أهل العلم يعدل ملء الأرض منهم". أعلام الموقعين ٣٠٨/١.

من واحة الشعر الدعوي

قصيدة لابن القيم

أما والذي حج المحبون بيته. . . . ولبُّوا له عند المهلَّ وأحرموا
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعاً. . . . لِعِزَّةِ من تعنوا الوجوه وتُسلمُ
يُهلُّون بالبيداء لبيك ربَّنا. . . . لك الملك والحمد الذي أنت تعلمُ
دعاهم فلبَّوه رضاً ومحبةً. . . . فلما دَعَوه كان أقرب منهم
تراهم على الأنضاد شُعثاً رؤوسهم. . . . وغُبراً وهم فيها أسرُّ وأنعم
وقد فارقوا الأوطان والأهل رغبة. . . . ولم يُثْنهم لذَّاتهم والتنعُّم
يسيرون من أقطارها وفجاجِها. . . . رجالاً وركباناً ولله أسلموا
ولما رأتْ أبصارُهم بيته الذي. . . . قلوبُ الورى شوقاً إليه تضرَّمُ
كأنهم لم يَنْصَبوا قطُّ قبله. . . . لأنّ شقاهم قد تَرَحَّلَ عنهمُ
فلله كم من عبرةٍ مهراقةٍ. . . . وأخرى على آثارها لا تقدمُ
وقد شَرقَتْ عينُ المحبَّ بدمعِها. . . . فينظرُ من بين الدموع ويُسجمُ
وراحوا إلى التعريف يرجونَ رحمة. . . . ومغفرةً ممن يجودَ ويكرمُ
فلله ذاك الموقف الأعظم الذي. . . . كموقف يوم العرض بل ذاك أعظمُ
ويدنو به الجبار جلَّ جلاله. . . . يُباهي بهم أملاكه فهو أكرمُ
يقولُ عبادي قد أتوني محبةً. . . . وإني بهم برُّ أجود وأكرمُ
فأشهدُكم أني غفرتُ ذنوبهم. . . . وأعطيتهم ما أمَّلوه وأنعمُ
فبُشراكُم يا أهل ذا الموقف الذي. . . . به يغفرُ الله الذنوبَ ويرحمُ
فكم من عتيق فيه كُمَّل عتقُه. . . . وآخر يستسعى وربُّكَ أكرمُ

قال أحمد شوقي:

إِلى عَرَفاتِ اللَهِ يا خَيرَ زائِرٍ. . . . عَلَيكَ سَلامُ اللَهِ في عَرَفاتِ
وَيَومَ تُوَلّى وُجهَةَ البَيتِ ناضِراً. . . . وَسيمَ مَجالي البِشرِ وَالقَسَماتِ
عَلى كُلِّ أُفقٍ بِالحِجازِ مَلائِكٌ. . . . تَزُفُّ تَحايا اللَهِ وَالبَرَكاتِ
لَكَ الدينُ يا رَبَّ الحَجيجِ جَمَعتَهُم. . . . لِبَيتٍ طَهورِ الساحِ وَالعَرَصاتِ
أَرى الناسَ أَصنافاً وَمِن كُلِّ بُقعَةٍ. . . . إِلَيكَ اِنتَهَوا مِن غُربَةٍ وَشَتاتِ
تَساوَوا فَلا الأَنسابُ فيها تَفاوُتٌ. . . . لَدَيكَ وَلا الأَقدارُ مُختَلِفاتِ
وَيا رَبِّ هَل تُغني عَنِ العَبدِ حَجَّةٌ. . . . وَفي العُمرِ ما فيهِ مِنَ الهَفَواتِ

المحتويات

أمة الجحور..... ٢
التحذير من مكائد الشيطان للإنسان..... ٧
بشريات للمشتاقين إلي حج بيت رب العالمين..... ١٧
الحج الركن الخامس من أركان الإسلام..... ٢٥
المعاني الإيمانية في فريضة الحج..... ٣٥
مع النبي ﷺ في حجة الوداع ٣٩
فوائد ودرر ٥٠
من واحة الشعر الدعوي..... ٥٢